آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية و الدراسات الثقافية
السنة السادسة عشرة، العدد الثاني، الخريف و الشتاء ١٤٣٥ هـ .ق، صص ٤٩ - ٦٤

الشريف الرضي وأسباب إغفاله لأسانيد *نهج البلاغة* و مصادره

علي حاجي خاني*

الملخص

لا شكّ أنّ كل مؤلف لخلق أثره يستفيد من آلات الدراسة والبحث، ومن جملتها الأسانيد والمصادر التي بحوزته إثباتاً لرأيه وتوثيقاً لما يدّعي. طرح المشكّكون في *نهج البلاغة* الذي جمعه الشريف الرضي (ره) بعض الشبهات حول مدي صحة ما نسبه الشريف الرضي إلي الإمام علي (ع) ومن جملة هذه الشبهات أسباب إغفال الشريف لأسانيد الخطب والرسائل والحكم ما عدا سبعة عشر موضعاً قد ذكر فيها الشريف الرضي بعض الأسانيد بشكل عام دون الخوض في التفاصيل و الجزئيات. فلاشكّ فيه أنّ غالبيّة *نهج البلاغة* مُرسل من حيث رواياته و لم يكن مُسنداً إذ أنّ الشريف الرضي قد نقل كلام الإمام (ع) مباشرةً ودون واسطة وحذف سلسلة الرواة عن كلامه. فإذن إنّ *نهج البلاغة* مُرسل عن متصل الأسناد. تحاول هذه الدراسة أن تكشف عن بعض الأسباب التي أدت إلى هذا الأمر من خلال ذكر الأدلّة العلميّة ومناقشتها.

الكلمات الرئيسة: الشّريف الرضي، الإمام علي (ع)، أسانيد *نهج البلاغة*.

١. المقدّمة

لاشكّ أنّ كل مؤلف وكاتب لخلق أثره يستفيد من آلات الدراسة والبحث، ومن جملتها

* أستاذ مساعد بقسم العلوم القرآنية و الحديث، بجامعة تربيت مدرّس Ali.hajikhani@modares.ac.ir
تاريخ الوصول: ١٣٩٢/٥/١٤، تاريخ القبول: ١٣٩٢/٧/٣٠

الأسانيد والمصادر التي بحوزته إثباتاً لرأيه وتوثيقاً لما يدّعي. فيثار هذا السؤال عن مؤلف *نهج البلاغة* بأنّه هل أتى بمصادر كلام الإمام(ع) وأسانيده في أثره؟ للإجابة الصريحة عن هذا السؤال يجب أن نعترف بأنّ الشريف الرضي لم يذكر في أثره الأسانيد والمصادر إلاّ في سبعة عشر موضعاً قد صرّح بها على شكل كلي منها:

١. الخطبة التي يصف الشريف فيها زمانه بالجور وجاء الجاحظ بها في كتابه *البيان والتبيين* (الجاحظ، ١٤١٢: ٢/ ٣٩-٤٠) (الخطبة ٣٢)؛

٢. رواية «مسعدة بن صدقة» لخطبة الأشباح عن الصادق جعفر بن محمد(ع) (الخطبة ٩١)؛

٣. رواية نَوف البكالي عن أمير المؤمنين (الخطبة ١٨٢)؛

٤. الخطبة التي ألقاها الإمام(ع) بذي قار، وهو متوجه إلى البصرة ذكرها الواقدي في كتابه «الجمل» (الخطبة ٢٣١)؛

٥. كلام الإمام عن ذِعلب اليمامي عن أحمد بن قتيبة عن عبدالله بن يزيد عن مالك بن دِحيَة (الكلام ٢٣٤)؛

٦. كتاب الإمام(ع) إلى طلحة والزبير ذكره أبو جعفر إسكافي في كتابه المقامات في مناقب أميرالمؤمنين(ع) (الكتاب ٥٤)؛

٧. الحلف الذي كتبه الإمام(ع) بين ربيعة واليمن ونُقِل من خط هشام بن كلبي (الكتاب ٧٤)؛

٨. كتاب الإمام(ع) إلى معاوية في أول ما بويع له ذكره الواقدي في كتاب *الجمل* (الكتاب ٧٥)؛

٩. كتاب الإمام(ع) إلى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحكمين ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي (الكتاب ٧٨)؛

١٠. خبر ضِرار بن حَمزة الضَّبائيّ عند دخوله على معاوية ومسألتِه له عن أميرالمؤمنين(ع) (الحكمة ٧٧)؛

١١. حكاية أبي جعفر محمد بن علي الباقر عن الإمام عليهما السلام (الحكمة ٨٨)؛

١٢. رواية نوف البكالي عن أمير المؤمنين(ع) في وصف الزاهدين (الحكمة ١٠٤)؛

١٣. رواية كميل بن زياد النخعي (الحكمة ١٤٧)؛

١٤. ما ذكره أبوعبيد القاسم بن سلّام الهروي في كتابه (غريب الكلام ٤)؛

١٥. رواية ابن جرير الطبري (الطبري، ١٩٧٩: ٦/ ٣٥٧) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه (الحكمة ٣٧٥)؛

١٦. رواية أبي جُحَيفَة عن الإمام(ع) حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الحكمة ٣٧٥)؛

١٧. حكاية ثعلب عن ابن الأعرابي (الحكمة ٤٣٤).

وما يُستنتج من هذا هو أنّ غالبية نهج البلاغة مُرسل من حيث رواياته و لم يكن مُسنداً[1] إذ أنّ الشريف الرضي قد نقل كلام الإمام(ع) مباشرةً ودون واسطة وحذف سلسلة الرواة عن كلامه.

فإذن إنّ نهج البلاغة مُرسل عن متصل الأسناد إلاّ أنّ جمعاً من العلماء من بعد الشريف الرضي بذلوا جهودهم لتعيين أسانيد نهج البلاغة ومصادره، وألّفوا كتباً قيّمة في هذا المجال منها مدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه لهادي كاشف الغطاء، مصادر *نهج البلاغة* في مدارك *نهج البلاغة* لسيد هبةالله الدين الشهرستاني، استناد *نهج البلاغة* لامتياز عليخان عرشي، مصادر *نهج البلاغة* وأسانيده لعبد الزهراء الحسيني الخطيب ومدارك *نهج البلاغة* لعبد الله نعمة.

ولكن يبقى هناك سؤال آخر، وهو أنّه لماذا لم يذكر الشريف الرضي أسانيد *نهج البلاغة* ومصادره و لم يُسند كلام الإمام(ع)؟ إن دراسة بعض القضايا تقودنا إلى الحقيقة لإزالة هذه الشبهة:

٢. عادة القدماء من أهل التأليف والنقل

مما لاشكّ فيه، أنّ كثيراً من القدماء المؤلفين لم يأتوا في آثارهم بالأسانيد، وأنّها كانت

مرسلة عن متصل الإسناد، مثل «مائة كلمة لأميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب» للجاحظ، و «مروج الذهب ومعادن الجواهر» للمسعودي، و«العقد الفريد» لابن عبدربّه، و«الأخبار الطوال» للدينوري، و «تحف العقول» لابن شعبة الحرّاني. ومن جانب آخر نجد بينهم في نفس الوقت من يأتي بالأسانيد والمصادر، و لم يكن موضوع توثيق النص وتأصيله قد شاع كما نعرفه اليوم بين علماء المسلمين، بل كان ذلك راجعاً إلى أسلوب المؤلف نفسه في الأغلب،كما كان ذلك راجعاً إلى هدف المؤلف. ففي الكتب المبنية على الرواية ذات الأهداف الأخلاقية لم يكن المؤلفون ليذكروا الأسانيد، ولكنهم كانوا يذكرونها إذا كانت كتبهم مروية في الفقه.

كما أن هناك منهجاً آخر، وهو أن يذكر المؤلف الأسانيد عندما يشكّ في الرواية التي ينقلها، ولكنّه إذا كان واثقاً من الرواية غير شاك فيها كان يتولى بنفسه مسؤولية الرواية دون أن يشير إلى الأسانيد.

يتحدّث العلامة كاشف الغطاء عن بعض المصادر المذكورة في *نهج البلاغة* ذاكراً الدليل الأخير حيث يقول:

> ذُكرت هذه المصادر في كتاب النهج متفرقة في أبوابه لخصوص بعض من الخطب والكتب والكلم القصار، و الظاهر أنّ الوجه في تخصيص ذلك البعض يذكر المصدر دون غيره من مندرجات الكتاب، هو أنّ ذلك البعض مما لم تتحقّق عند المؤلف نسبته إلى أمير المؤمنين عليه السلام بخلاف غيره، فإنّه على ثقة منه ويقين فلا يحتاج إلى ذكر مصدر له تكون العهدة عليه في النقل و النسبة. وهذه عادة القدماء من أهل التأليف والنقل، فإن ما يثقون بصدوره من شخص ينسبونه إليه ولا يذكرون الواسطة بخلاف ما لم يثقوا بصدوره. وقد يكون الوجه في ذلك وقوع الخلاف في النسبة أو وجود النسبة إلى الغير فيذكر المصدر مؤيدا لما يراه المؤلف، كما يظهر ذلك من نقله عن الجاحظ في كتاب البيان والتبيين (كاشف الغطاء، بلاتا: ٢٣٥).

ويقول في موضع آخر:

> ... وما تعارف اليوم بين كتّاب العصر من ذكر المصدر و تعيين موضع النقل منه لم يكن متعارفاً في الأزمنة السابقة، وسيما أهل السير ورواة الخطب ومنثور الكلام

ومنظومه، بل غاية ما يتفق لهم أنّهم ربّما أسندوا ما ينقلونه إلى راوٍ خاص وناقل معين، و أغلب ما يسطره أهل التاريخ مُرسل لا يُعلم من أي مُخبر سُمع، ولا عن أي مصدر أُخذ، فراجِع كتب التأريخ التي بين أيدينا (المصدر نفسه: ٢٠٧).

٣. نوعية الكتاب

كان الشريف الرضي قد أطلق اسم *نهج البلاغة* علي ما جمعه من كلام الإمام علي(ع)، وكان أحد بواعثه الرئيسية أن يبدأ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام أمير المؤمنين(ع) الذي يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية، كما صرّح به في مقدمة كتابه، و مما يُدرك من قوله كمؤلف أنّ *نهج البلاغة* ليس كتاباً تاريخياً ولا فقهياً ونحوهما لكي يحتاج إلى مصادر تاريخية ومدارك فقهية، بل الغالب على الكتاب هو الجانب البلاغي، وانتقاء كلام الإمام(ع) من قبل الرضي يدور حول هذا المحور.

وقد تحدّث الأستاذ مرتضى مطهري عن الأسباب الكامنة وراء عدم ذكر المصادر والأسانيد بالضرورة من قبل الشريف الرضي بالإشارة إلى غرضه في تسمية الكتاب قائلاً:

> إنّ المجاميع التاريخية و الحديثية يجب ــ في الدرجة الأولى ــ أن تكون الأسانيد و المصادر فيها معلومة واضحة، و إلاّ فلا اعتبار لها، ولكن اعتبار الآثار الأدبية إنّما هو في جمالها وحلاوتها ولطفها. و في الوقت نفسه لا نستطيع القول بأنّ السيد الرضي(ره) كان في غفلة عمّا لهذا الأثر الشريف من اعتبارات تاريخيّة و غيرها، وأنّه إنّما كان متوجها إلى اعتباره الأدبي فحسب (مطهري، ١٤٢١: ٥).

والأستاذ عبد الزهراء الحسيني يؤيّد هذا المعنى قائلاً:

> إنّ الشريف لم يجمع (النهج) ليجعل منه مصدراً من مصادر الفقه، أو مدركاً من مدارك الأحكام، بل كان جلّ قصده أن يخرج للناس جانباً من كلام أمير المؤمنين عليه‌السّلام. ... لذا تراه لم يذكر الأسانيد، و لم يتعرض للمصادر إلّا فيما ندر، و لم يعتن بالتناسق و التتالي (الحسيني الخطيب، ١٤٠٥: ٢٧).

٤. مكانة المؤلف و شهرته بالأمانة والصدق

ممّا لاشكّ فيه، أنّ من العوامل التي يلتفت كل باحث إليها ويعتمد عليها عند الرجوع إلى أثر تأليفي ليحكم دراسته ويُتقنها، هي مؤهّلات صاحبه العلمية، ومكانته الرفيعة، ووثاقته عند الدارسين.

ولو نظرنا إلى *نهج البلاغة* باعتبار مؤلفه لاعترفنا بدرجات الشريف الرضي العلمية ووثاقته. إنّ إقبال كثير من العلماء والأدباء والدارسين والطالبين إلى *نهج البلاغة* في عصر الشريف الرضي وطوال الأعصار المختلفة من بعده إلى الآن، يشهد وحده بأنّهم اعترفوا بعظمة الشريف الرضي العلمية والأدبية ومستوى وثاقته وصدقه. وكثير منهم كانوا من الفقهاء والعلماء الكبار والمحدّثين من أهل السنّة والشيعة، وحتى من أهل الكتاب من المسيحيين وغيرهم. وقد اهتمّوا بالدراسات المختلفة في *نهج البلاغة* وشرحه وفهم دقائقه وظرائفه الخارقة التي أعجبت كل من عرفه.

أقدم من ذكر ترجمة الشريف الرضي أبو العباس النجاشي (ت٤٥٠ هـ) والثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)، و قدّمها كلّ منهما بايجاز.

قال النجاشي:

> محمّد بن الحسين ... هو أبو الحسن الرضي نقيب العلويّين ببغداد، أخو المرتضى، كان شاعراً مبرّزاً، له كتب منها: كتاب حقائق التنزيل، كتاب مجاز *القرآن*، كتاب خصائص الأئمة عليهم‌السّلام، كتاب *نهج البلاغة* (النجاشي، ١٤٠٧: ٦١).

وقد قال فيه الثعالبي وهو معاصر للشريف الرضي:

> وهو اليوم أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادات العراق، يتحلّى مع محتده الشريف ومفخره المنيف بأدب ظاهر وفضل باهر وحظ من جميع المحاسن وافر (الثعالبي، ١٤٠٣: ٣/ ١٣٦).

وقد قيل في وصفه إنّه كان أبيّ النفس، عالي الهمة، سمت به عزيمته إلى معالي الأمور، فلم يجد من الأيام معيناً، وكان عفيفاً لم يقبل من أحد صلة ولا جائزة حتى بلغ من تشدده

في العفة أن ردّ ما كان جارياً على أبيه من صلات الملوك والأمراء وأجهد بنو بويه أن يحملوه على قبول صلاتهم فما استطاعوا (كاشف الغطاء، ١٣٧٨: ١٢).

يقول الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في مقدمة كتبها لشرح ابن أبي الحديد:

> منذ أن صدر هذا الكتاب عن جامعه، سار في الناس ذكره، وتألّق نجمه، أشأم وأعرق، وأنجد وأتهم، و أُعجب به حيث كان، وتدارسوه في كل مكان، لما اشتمل عليه من اللفظ المنتقى، والمعنى المشرق، وما احتواه من جوامع الكلم، في أسلوب متساوق الأغراض محكم السبك، يُعدُّ في الذروة العليا من النثر العربي الرائع (ابن أبي الحديد، ١٩٦٧: المقدمة).

ويتحدّث الأستاذ محسن الأمين عن ذوق الشريف الرضي الرفيع في اختياره لكلام الإمام(ع)، إذ يقول:

> وغيرخفي أن من يريد اختيار أنفس الجواهر من الجواهر الكثيرة لابد أن يكون جوهرياً حاذقاً، فكان الرضي باختياره أبلغ منه في كتاباته، كما قيل عن أبي تمام لمّا جمع ديوان الحماسة من منتخبات شعر العرب إنّه في انتخاباته أشعر منه في شعره. ... وكذلك *نهج البلاغة* من الشهرة والقبول ماهو أهله وشُرح بشروح كثيرة تنبو عن الإحصاء وكان مفخرة من أعاظم مفاخر العرب والإسلام (الأمين العاملي، بلاتا: ٤/ ٢).

ومن الذين اهتموا كثيراً بالدراسة حول شخصية الشريف الرضي وقدراته العلمية والأدبية، هو الأستاذ زكي مبارك الذي يصف إنصاف الشريف الرضي وتفوّقه الأدبي على سائر شعراء عصره حين يقول:

> ويشهد اللّه ــ و هو خير الحاكمين ــ أنّي لم أفكّر في إنصاف الشريف الرضي يوم قدّم لي الدكتور شريف عسيران نسخة من كتاب الأستاذ أنيس المقدسي عن أمراء الشعر في العصر العباسي، فأزعجني أن يهتم بأبي العتاهية و ينسى الرضيّ، مع أن ديوان أبي العتاهية لا يساوي قصيدة واحدة من قصائد الشريف ... و الاهتمام بدراسة شعر الشريف الرضي كان أولى من الاهتمام بدراسة شعراء القرن الثالث، لأنّ له خصائص ذاتية لا نجدها عند أولئك الشعراء (مبارك، ١٣٦٧: ١/ ٧).

كما أنّ الشريف الرضي كان مشهوراً بين الناس بالصدق والأمانة. فقد ذكر ابن عنبة (المتوفى ٨٢٨ هـ) حادثتين تكشفان مدى أمانة الشريف الرضي فيما يلي:

نقل ابن عنبة عن أبي إسحاق الصابي عن الوزير أبي محمد المهدي في الشـــريف الرضـــي قال: وأمّا أخوه الرضي، فبلغني ذات يوم أنّه وُلد له غلام فأرسلت إليه بطبق فيه ألف دينار، فرده وقال: قد علم الوزير أنّي لا أقبل من أحد شيئاً. فرددته إليه وقلت: إنّي إنمـــا أرســـلته للقوابل. فرده ثانية وقال: قد علم الوزير أنّه لا تقبل نساؤنا غريبة. فرددته إليه و قلت: يفرّقه الشريف على ملازميه من طلاب العلم. فلمّا جاءه الطبق وحوله طلاب العلم قال: هـــاهم حضور فليأخذ كل أحد ما يريد. فقام رجل و أخذ ديناراً فقرض من جانبه قطعة وأمسكها وردّ الدينار إلى الطبق، فسأله الشريف عن ذلك فقال: احتجت إلى دهن الســـراج ليلـــة وم يكن الخازن حاضراً فاقترضت من فلان البقال دهنا فأخذت هذه القطعة لأدفعها إليه عوض دهنه، وكان طلبة العلم الملازمون للشريف الرضي في دار قد اتخذها لهم سمّاها (دار العلم) و عيّن لهم جميع ما يحتاجون إليه، فلمّا سمع الرضي ذلك أمر في الحال بأن يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة ويدفع إلى كلّ منهم مفتاح ليأخذ ما يحتاج إليه ولا ينتظر خازنـــاً يعطيـــه، وردّ الطبق على هذه الصورة، فكيف لا أعظّم من هذا حاله (ابن عنبه، بلاتـــا: ٢٠٩ – ٢١٠). وكان الرضي يُنسب إلى الإفراط في عقاب الجاني من أهله وله في ذلك حكايات، ومنها: أنّ امرأة علوية شكت إليه زوجها وأنّه يقامر بما يتحصل له من حرفة يعانيها، وأنّ له أطفـــالاً و هو ذو عيلة و حاجة، و شهد لها من حضر بالصدق فيما ذكرت، فاستحضره الشـــريف و أمر به فبطح و أمر بضربه فضرب والإمرأة تنتظر أن يكفّ، والآمر يزيد حتى جاوز ضـــربه مائة خشبة، فصاحت الإمرأة: وايتُم أولادي، كيف تكون صورتنا إذا مات هـــذا فكلّمهـــا الشريف بكلام فظّ فقال: ظننت أنّك تشكينه إلى المعلّم (المصدر نفسه: ٢١٠).

٥. منزلة *نهج البلاغة* ومكانته

ما أقرّ به كثير من العلماء وأهل الأدب من القدماء والمحدثين الذين ارتووا من مناهل *نهج البلاغة* وأشرفوا على فهم دقائقه البلاغية ومضامينه السامية، هوأنّ هذا الكتاب له ميزاته الخاصة به ولا يمكن مقارنته بأي أثر آخر، ومن ثمّ يعترفون بعظمته وعظمة الرجل الذي قد جـــاش كلامه على هذا المستوى من قلبه.

ولاشكّ أنّ الشريف الرضي نفسه قد أدرك هذه الحقيقة من بداية الأمر،كما أنّه ذكر في مقدمته لكتاب خصائص الأئمة عند نقل نماذج من كلام الإمام(ع)، أنّ جماعة من أصدقائه وإخوانه استحسنوا الكلام معجبين ببدائعه ومتعجبين من نواصعه (الشريف الرضي، ١٣٨٧: ٣٤).

خلاصة القول أنّ *نهج البلاغة* بنفسه يعتبر حجة وبرهاناً قاطعاً على صحة وثاقته لمحل صدوره، وكما يقول المولوي جلال الدين محمد البلخي الشاعر الشهير ما معناه:

إنّ إشراق الشمس إثبات لوجودها، فلا تعرضنّ عن الحجة إذا أشرقت عليك[٢] (مولوي، ١٣٧٤: ٧).

إنّ ألفاظ *نهج البلاغة* ومعانيه ومضامينه السامية على مرتبة لم يكن يصدر مثيلها من الخطباء والكتّاب من بعد ظهوره إلى زماننا الحاضر.

يقول ابن أبي الحديد في مقارنة بين كلام الإمام(ع) في *نهج البلاغة* وكلام ابن نباته:[٣]

إنّ سطراً واحداً من *نهج البلاغة* يساوي ألف سطر من كلام ابن نباته وهو الخطيب الفاضل الذي اتّفق الناس على أنّه أوحد عصره في فنّه (ابن أبي الحديد، ١٩٦٧: ٢/ ٧٤-٩١).

ويقول ابن نباته نفسه:

حفظت من الخطابة كتزاً لا يزيده الإنفاق إلا سعة و كثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب(ع) (المصدر نفسه: ١/ ٨).

و قالوا:

إنّ عبد الحميد الكاتب كان في حداثة سنه معلما بالكوفة، و هناك حَدَثَ له غرام بتمثل كلام علي بن أبي طالب(ع)، فقيل له ما الذي خرّجك، في البلاغة، قال حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت (المصدر نفسه).

وتخرج ابن المقفع بخطبه، وما نال محمد بن عبد الملك المعروف بالزاهد الفارقي الحظوة من إقبال النّاس على مواعظه، وانثيالهم على مجلسه، وتدوينهم لكلامه إلّا لأنّه كان يحفظ *نهج البلاغة* و يغيّر بعض عباراته، فيحسبون أنّها من إنشائه ومبتكراته (الصفدي، ١٤٠١: ٤/ ٤٤).

فيمايلي بعض آراء أهل العلم والأدب حول *نهج البلاغة* إثباتاً لمنزلته ومكانته الرفيعة عندهم.

يقول الأستاذ محمد حسن نائل المرصفي:

> *نهج البلاغة*، ذلك الكتاب الذي أقامه اللّه حجة واضحة على أنّ علياً(ع) كان أحسن مثال حيّ لنور *القرآن* وحكمته، وعلمه وهدايته، وإعجازه وفصاحته اجتمع لعلي(ع) في هذا الكتاب مالم يجتمع لكبار الحكماء، وأفذاذ الفلاسفة، ونوابغ الربانيين، من آيات الحكمة السابغة، وقواعد السياسة المستقيمة، ومن كل موعظة باهرة، وحجة بالغة تشهد له بالفضل، وحسن الأثر (الحسيني الخطيب، ١٤٠٥: ٩٠).

ويقول الأستاذ أمين نخلة:

> إذا شاء أحدٌ أن يشفي صُبابة نفسه من كلام الإمام فليُقبل عليه في «النهج» من الدفة وليتعلم المشي على ضوء *نهج البلاغة* (المصدر نفسه: ٩١).

ويتحدث الأستاذ عباس محمود العقاد عن فيوضات *نهج البلاغة* قائلاً:

> في كتاب (*نهج البلاغة*) فيض من آيات التوحيد والحكمة الإلهيّة تتّسع به دراسة كل مشتغل بالعقائد، و أصول التألّيه وحكم التوحيد (المصدر نفسه: ٩٦).

والأستاذ زكي مبارك يتحدّث عما حواه *نهج البلاغة* من القيم الإنسانية قائلاً:

> إنّي لأعتقد أن النظر في كتاب *نهج البلاغة* يورث الرجولة والشهامة وعظمة النفس، لأنّه فيض من روح قهّار واجه المصاعب بعزائم الأُسُود (مبارك، ١٣٦٧: ٧).

أما الشيخ محمد عبده من شارحي *نهج البلاغة* فيشير إشارة مبسوطة إلى مدى تأثره بنهج البلاغة بشكل معجب يليق بالذكر قائلاً:

> وبعد، فقد أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب *نهج البلاغة* مصادفة بلا تعمل: أصبته على تغير حال، وتبلبل بال، وتزاحم أشغال، وعطلة من أعمال، فحسبته تسلية، وحيلة للتخلية، فتصفحت بعض صفحاته، و تأمّلت جملاً من عباراته، من مواضع مختلفات، ومواضيع متفرقات، فكان يُخيَّل لي في كل مقام أنّ حروبا شبّت، وغارات شُنّت، وأنّ للبلاغة دولة، وللفصاحة صولة، وأنّ للأوهام عرامة[٤] وللريب دعارة، و أنّ جحافل الخطابة، وكتائب الذرابة، فى عقود النظام، وصفوف الانتظام، تنافح[٥] بالصفيح

الأبلج والقويم الأملج، وتمتلج المهج برواضع الحجج، فتفل[٦] من دعارة الوساوس وتصيب مقاتل الخوانس ... فما أنا إلّا و الحق منتصر، والباطل منكسر، ومرج[٧] الشك في خمود وهرج الريب في ركود. وإنّ مدبر تلك الدولة، و باسل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) (عبده، ١٤٢٣: ١٠).

يشير الاستاذ زكي مبارك إلى مستوى انتشار *نهج البلاغة* ونفوذه في شرق العالم وغربه إذ يقول:

فإن ذكرتم أنّ *نهج البلاغة* شُرح نحو أربعين مرة، وإن ذكرتم أنّ فيه فصولا تُرجمت إلى بعض اللغات الشرقية و الغربية، وإن ذكرتم أنّه فتح أمام النقد أبوابا ومذاهب، وإن ذكرتم أنّ له فضلاً على أكثر الفصحاء من الخطباء ... (مبارك، ١٣٦٧: ٢٢٣).

وأخيراً يقول:

لا مفرّ من الاعتراف بأنّ *نهج البلاغة* له أصل، وإلّا فهو شاهد على أنّ الشيعة كانوا أقدر الناس على صياغة الكلام البليغ (المصدر نفسه).

والأقوال في ذلك كثيرة عند العلماء والأدباء القدامي والمعاصرين أحجمنا عن ذكر أقوالهم خشية التطويل.

٦. ازدياد حجم الكتاب مع إيراد الأسانيد

كان الشريف الرضي يدرك جيداً أنّ إيراد الأسانيد التي لم يكن يراها ضرورية سيضيف حجم الكتاب إلي عدة أضعاف ممّا هو عليه الآن، ويجب أن لا ننسي صعوبات الكتابة و النشر و التأليف وما كان يواجهه النساخون فيما بعد من مشاكل في كتابته، وإذا قورن هذا الكتاب مع نظائره من الكتب الأدبيّة في ذلك العصر فإنّ الأمر فيتضح أكثر من ذي قبل.

٧. شهرة خطب الإمام(ع) ورسائله بين الناس

إنّ شهرة خطب الإمام(ع) ورسائله وكلماته القصار وحكمه بين الناس كانت تغني أيّ

شخص في ذلك العهد عن إيراد الأسانيد لتأكيد صحة نسبتها إلي الإمام(ع). يليق بالذكر أنّ الناس قبل ظهور *نهج البلاغة* كانوا يحفظون كلام الإمام(ع) من خطب ورسائل و يكتبونها بسبب أهمّيّتها و جمالها و فصاحتها و بلاغتها و كان كلامه(ع) مشهور عند الناس كما يؤيّد الجاحظ هذا الموضوع بأنّ خطب علي(ع) كانت مدوّنة محفوظة مشهورة مجلدة (الجاحظ، ١٤١٢: ٨٣) والمسعودي يشير إلى خطب الإمام المحفوظة عند الناس قائلاً: «والذي حفظ الناس من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة ونيف وثمانون خطبة» (المسعودي، بلاتا: ٤٣٣) ولعلّ هذا يدل على أنّ الشريف الرضي لم يكن يرى حاجةً إلى ذكر الأسانيد بسبب اشتهار كلام الإمام(ع) بين الناس وتعرّفهم عليه.

٨. غرض المؤلف من تدوين الكتاب

لا يخفي علي أحد أنّ الشريف الرضي لم يضع الكتاب لأغراض مذهبية أو سياسية وإنّما كان هدفه ابراز جماليّات النص الأدبي عند الإمام(ع) بجمعه وعرضه علي الناس. ثمّ لا ننسي الصبغة الأدبية لشخصية الشريف الرضي وشهرته كأديب بين الناس فإذا كان يقصد بوضع الكتاب إلي أغراض أخري كما أشرنا فكان من الضروري أن يذكر الأسانيد لدحض المخالفين و المنكرين. فقد أكّد الشريف ذلك في مقدمته لنهج البلاغة حيث يقول:

> ... فاستحسن جماعة من الأصدقاء ... سألوني عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب ... علماً أنّ ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب.... لأنّ كلامه(ع) الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي (الشريف الرضي، ١٣٨٧: ٣٣).

٩. عدم تشكيك الناس في نسبة هذه النصوص إلى الإمام(ع) في عصر الشريف الرضي

كان الشريف الرضي نقيب العلويين في بغداد كما كان رجلاً ذا مكانة اجتماعية وسياسية

وأدبية كبيرة فلا يعقل من رجل هذه صفته ألّا يدرك أهمية ذكر الأسانيد في هذا الكتاب إلّا أن تكون القرائن الموجودة في بيئته تؤكد له عدم الحاجة إلى ذلك.

فقد كان الناس لا يظهرون أي تشكيك في صحة نسبة هذا الكلام إلى الإمام ممّا جعل الشريف لا يفكر في ذلك بتاتاً. وإذا ما نظرنا إلى أوّل المشككين لاتضّح الأمر جلياً فلم يكن أحد في عصر الشريف يشكك و لو بشكل جزئي في صحة ما جمعه. لذا فإنّ الشريف لم يذكر أسانيد لما جمعه في الكتاب.

١٠. تدقيق الشريف الرضي في الفصل بين كلامه وكلام الإمام(ع) وحسن ظنه بالناس

إذا ما راجعنا نصوص *نهج البلاغة* لوجدنا الشريف الرضي يدقق في أن يفصل بين كلامه وكلام الإمام(ع) بعبارات من مثل «قال السيد الرضي» ممّا يدل على دقته العلمية و مراعاته للأمانة فهل يعقل ألّا يفكر الشريف الرضي بهذه الدقة التي أشرنا إليها في أسانيد كلام الإمام(ع) إذا كان ذكرها ضرورياً؟ وهذا يقودنا مرة أخرى إلى التأكيد بأنّ الشريف لم يكن يري حاجة لذكر الأسانيد.

مضافاً على هذا كان منزلة الشريف الرضي العلميّة والدينيّة قد جعلته في مرتبة كان لا يفكّر معها أن يطعن أناس في صحة كلامه فقد كان رجلاً متصفاً بالتقوى والأخلاق الفاضلة وكان يتمتع بحب الناس ممّا جعله يفكّر أنّ أحداً لن يتعرّض لما جمعه و لم يخطر بباله أنّ المغرضين في العصور اللاحقة سيشكّكون في ما نقله عن الإمام(ع).

١١. النتيجة

إذا أردنا أن نلخص ما بحثنا عنه فيما يرتبط بالأسباب التي تبرّر عدم إتيان الشريف الرضي بالمصادر والأسانيد لنهج البلاغة فعلينا أن نقول:

أولاً: عادة القدماء من أهل التأليف والنقل، هي أنّ ما كان المؤلف على ثقة منه ويقين فلا حاجة أن يذكر مصدراً له وتكون العهدة عليه في النقل والنسبة؛

ثانياً: نوعية تأليف الشريف الرضي وهو كتاب يغلب عليه الجانب البلاغي ممّا يجعل الأثر مختلفاً عن غيره مستغنياً عن الأسانيد التي هي من سمات الكتب الفقهية والعلمية عادةً؛

ثالثاً: مكانة المؤلف وشهرته عند أهل العلم والأدباء والدارسين بالصدق والأمانة حيث أقبلوا على أثره، وشرحوه شروحاً شتى؛

رابعاً: منزلة *نهج البلاغة* باعتباره كتاباً يختلف اختلافاً كاملاً عن سائر المؤلفات وذلك لاتصاله بالإمام علي(ع) حيث يعتبر هذا الكتاب بنفسه حجة على صحة نسبته لمحل صدوره؛

خامساً: إزدياد حجم الكتاب مع إيراد الأسانيد هو سبب آخر لعدم إتيان المصادر من قبل الشريف الرضي؛

سادساً: إنّ شهرة خطب الإمام(ع) ورسائله وكلماته القصار وحكمه بين الناس كانت تغني أيّ شخص في ذلك العهد عن إيراد الأسانيد لتأكيد صحة نسبتها إلى الإمام(ع)؛

سابعاً: إنّ الشريف الرضي لم يضع الكتاب لأغراض مذهبية أو سياسية وإنّما كان هدفه إبراز جماليّات النص الأدبي عند الإمام(ع) بجمعه وعرضه على الناس؛

ثامناً: لم يكن أحد من الناس في عصر الشريف يشكّك في نسبة هذه النصوص إلى الإمام (ع) ولذا فإنّ الشريف لم يذكر أسانيد لما جمعه في الكتاب؛

تاسعاً: دقّة الشريف الرضي في الفصل بين كلامه وكلام الإمام(ع) بالإضافة إلي حسن ظنّه بالناس.

و أخيراً يجب أن نقول أنّ كل هذه الأسباب تُثبت لنا بأنّ عدم ذكر المصادر والأسانيد من قبل الشريف الرضي لايقلّل قيمة أثره ووجاهته ووثاقته أبداً وهذا ما حاول البحث إثباته في هذه الصفحات.

الهوامش

١. الحديث المرسل إذا كان غير متصل الإسناد وجمعه المراسيل (لسان العرب، ٥/ ٢١٤، مادة

رسل). والمُسند من الحديث ماتصل إسناده حتى النبي(ص) والإسناد في حديث: رَفْعُــه إلى قائله (م.ن، ج ٦، ص ٣٨٧، مادة سند).

٢. منظوم بالفارسية:

آفتــاب آمــد دليــل آفتــاب گردليلت بايد از وي رومتــاب

(مولوي، ١٣٧٤: دفتر اول/ ٧)

٣. ابن نباته هو أبو يحيى عبدالرحيم بن محمدبن اسماعيل بن نباته، كان يلقب بالخطيب المصري رُزق السعادة في خطبه، واتّصل بسيف الدولة في حلب، وكان سيف الدولة كثير الغزوات و لذلك أكثر ابن نباتة من خطب الحضّ على الجهاد، وقد قارن ابن أبي الحديد بين بعض خطبه في الجهاد وبين خطبة أمير المؤمنين عليه‌السلام «الجهاد باب من أبواب الجنة». توفى ابن نباتة سنة (٣٧٤ هـ) أي قبل صدور «*نهج البلاغة*» بست و عشرين سنة (الحسيني الخطيب، السيد عبد الزهراء، مصادر *نهج البلاغة* وأسانيده، ١/ هامش ٦٣).

٤. العرامة: الشراسة. والدعارة: سوء الخلق. والجحافل: الجيوش، والكتائــب: الفــرق منــها. وللذرابة: حدة اللسان في فصاحة. والكلام تخييل حرب بين البلاغة وهائجــات الشــكوك والأوهام (عبده، ٢٠٠٢).

٥. تنافح: تضارب أشد المضاربة، والصفيح: السيف، والأبلج: اللامع البياض، والقويم: الــرمح، والأملج: الأسمر. وهي مجازات عن الدلائل الواضحة والحجج القويمة المبددة للوهم وإن خفي مدركها. وتمتلج: أي تمتص، والمهج: دماء القلوب، والمراد لا تبقى للأوهام شيئا من مــادة البقاء (عبده، ٢٠٠٢).

٦. فلّ الشيء: ثلمه، والقوم هزمهم. والخوانس: خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء (عبده، ٢٠٠٢).

٧. المرج: الاضطراب، و الهرج: هيجان الفتنة (عبده، ٢٠٠٢).

المصادر

ابن أبي الحديد (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م). *شرح نهج البلاغة*، بتحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، بــيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن عِنَبَة، جمال الدين أحمدبن علي الحسيني (بلاتا). *عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب*، أشرف علي مراجعته ومقابلة الأصول لجنة إحياء التراث، بيروت: دار مكتبة الحياة.

ابن منظور (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م). *لسان العرب*، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الأمين العاملي، محسن (بلاتا). *أعيان الشيعة*، بيروت: دار التعارف.

الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن إسماعيل (١٤٠٣ق). *يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر*، شرح وتحقيق: مفيد محمد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية.

الجاحظ، أبوعثمان عمرو بن بحربن محبوب (١٤١٢ه). *البيان والتبيين*، قدّم لها وبوّبها وشرحها علي أبوملحم، بيروت: دار ومكتبة الهلال.

الحسيني الخطيب، السيد عبد الزهراء (١٤٠٥هـ). *مصادر نهج البلاغة وأسانيده*، بيروت: دار الأضواء.

الشريف الرضي،أبوالحسن محمدبن الحسين الموسوي (١٣٨٧ق). *نهج البلاغة*،ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلمية صبحي الصالح، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (١٤٠١ق). *الوافي بالوفيات*، دارالنشر فرانزشتاينر بقيسبادن، بيروت: دارصادر.

الطبري، أبو جعفر بن جرير الطبري (١٩٧٩م). *تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)*،تحقيق محمد أبوالفضل، القاهره: دار المعارف.

عبده، محمد (١٤٢٣ه/ ٢٠٠٢ م). *شرح نهج البلاغة*، بيروت: دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع.

العرشي، امتياز عليخان (١٣٥١ش). *استناد نهج البلاغة*، قدم له وعني بنشره الشيخ عزيز الله العطاردي، طهران: منشورات اميركبير.

كاشف الغطاء، محمدرضا (١٣٧٨ق). *الشريف الرضي*، بيروت: دارالذخائر.

كاشف الغطاء، هادي (بلاتا). *مستدرك نهج البلاغة*، بيروت: مكتبة الأندلس.

مبارك، زكي (١٣٦٧ق). *عبقرية الشريف الرضي*، بيروت: دار الجيل.

المسعودي، أبوالحسن علي بن الحسين (بلاتا). *مروج الذهب و معادن الجواهر*، بيروت: دار الأندلس.

مطهري، مرتضى (١٣٧١ش). *في رحاب نهج البلاغة*، بيروت: الدار الإسلامية.

مطهري، مرتضى (١٣٧٩ش/ ١٤٢١ق). *سيري در نهج البلاغة*، طهران: صدرا.

مولوي، جلال الدين محمد بلخي (١٣٧٤ش). *مثنوي معنوي*، دفتر اول، به كوشش توفيق ه.سبحاني، طهران: سازمان چاپ و انتشارات وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامي.

النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن العباس (١٤٠٧ق). *فهرست أسماء مصنفي الشيعة المعروف برجال النجاشي*، قم: جامعة مدرسين.